الإيثار

تأليف

د / على راشد

رسوم

ماهر عبد القادر

التجهيزات الفنية

شركة لمحة آرت

جميع الحقوق محفوظة

برقم إيداع: 2010/20643

المجد للنشر والتوزيع: 0106372799

عِنْدَمَا الْتَقَى الْأُسْتَاذُ بِتَلَامِيذِهِ وَتِلْمِيذَتِهِ، بَدَأَ التِّلْمِيذُ الْحَدِيثَ فَقَالَ: الْيَوْمَ يَا أُسْتَاذَنَا الْقَدِيرَ حَدَثَ مَوْقِفٌ مُثِيرٌ فِي الْمَدْرَسَةِ، فَلَقَدْ تَنَازَلَ زَمِيلُنَا "مُحْسِنٌ" عَنْ وَجْبَتِهِ الْغِذَائِيَّةِ الَّتِي أَحْضَرَهَا مِنْ بَيْتِهِ لِزَمِيلِنَا "فُؤَادٍ" الَّذِي أَخْبَرَهُ بِأَنَّ هُنَاكَ ظُرُوفًا عَائِلِيَّةً لَمْ تَسْمَحْ بِأَنْ يُحْضِرَ الْوَجْبَةَ الْغِذَائِيَّةَ الْخَاصَّةَ بِهِ، وَأَنَّهُ فِي غَايَةِ الْجُوعِ. وَرَغْمَ أَنَّ "مُحْسِنًا" كَانَ فِي حَاجَةٍ لِتَنَاوُلِ وَجْبَتِهِ الْغِذَائِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ فَضَّلَ زَمِيلَهُ "فُؤَادًا" عَلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ فِي سَعَادَةٍ كَبِيرَةٍ لِهَذَا الْعَمَلِ.

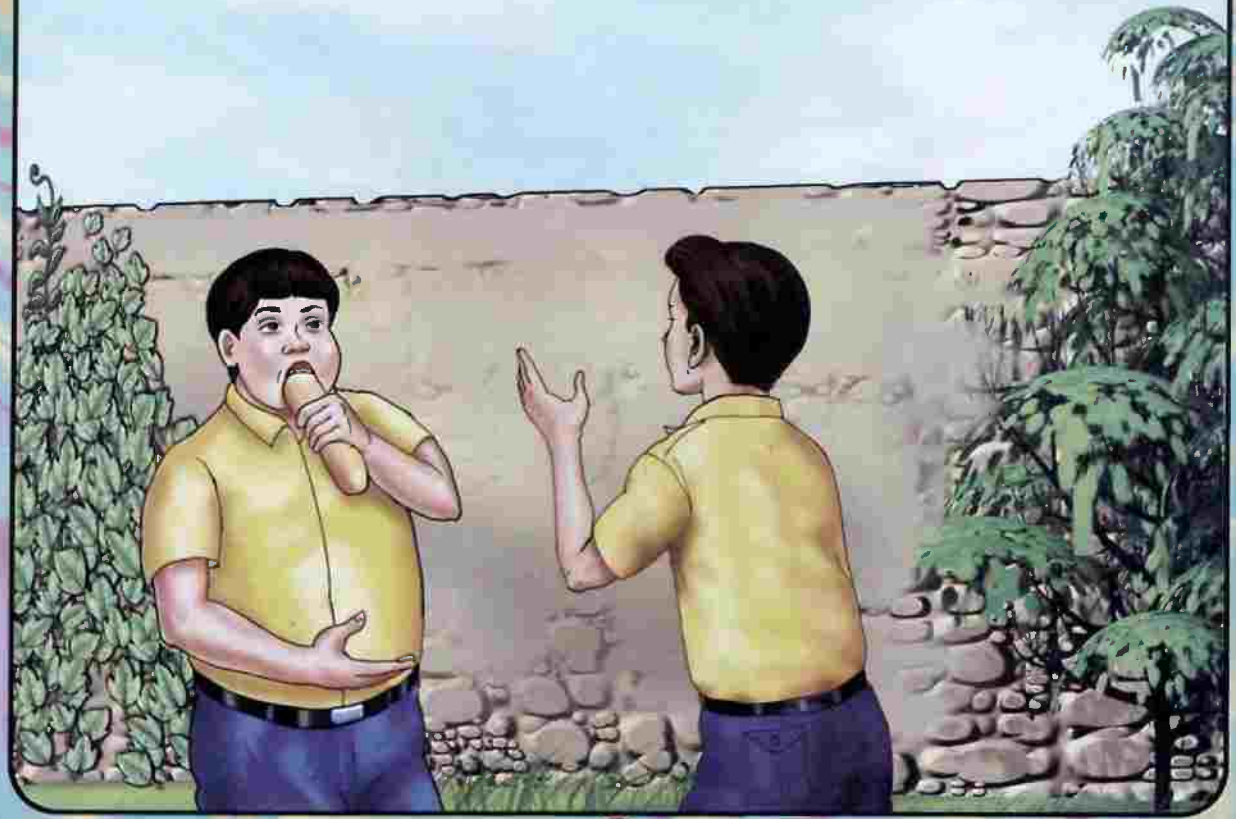

ابْتَسَمَ الأُسْتَاذُ وَقَالَ: هَذِهِ هِيَ قِيمَةُ الإِيثَارِ يَا بُنَيَّ.

تَسَاءَلَتِ التِّلْمِيذَةُ: وَمَا مَعْنَى الإِيثَارِ يَا أُسْتَاذِي؟

أَجَابَ الأُسْتَاذُ: الإِيثَارُ يَا بُنَيَّتِي مِنَ الصِّفَاتِ النَّبِيلَةِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا الْمُسْلِمُ الْحَقُّ فَهُوَ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالسَّخَاءِ، حَيْثُ يَتَنَازَلُ الْفَرْدُ عَمَّا يَمْتَلِكُهُ - رَغْمَ حَاجَتِهِ - إِلَى فَرْدٍ آخَرَ يَرَاهُ أَكْثَرَ احْتِيَاجًا، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ..﴾ (سورة الحشر آية ٩)، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ الصَّدِيقَانِ صَالِحٌ وَإِبْرَاهِيمُ.

وفي تشوق قال التلميذ: وما حكاية الصديقين صالح وإبراهيم يا أستاذنا؟

رد الأستاذ: صالح وإبراهيم صديقان من أهل الريف، ومن قرية واحدة، وهما يتسمان بالصلاح والتقوى، ويحبان الخير للجميع، وكل منهما يمتلك أرضا زراعية مجاورة لأرض الآخر. واحتاج "إبراهيم" يوما لقدر كبير من المال، ففكر أن يبيع أرضه الزراعية، فعرض أرضه على جاره "صالح"، فوافق على شراء أرض جاره إبراهيم، وأعطاه ما طلبه من مال في مقابل هذه الأرض.

وفي اليوم التالي بدأ "صالح" يُعدُّ الأرض التي اشتراها للزراعة. فقام بحرثها استعدادًا لوضع البذور فيها باستخدام المحراث. وفي أثناء عملية الحرث، اصطدم المحراث بجسم صلب. وعندما فحص "صالح" هذا الجسم، فإذا به صرة كبيرة من الجلد القديم. وعندما فتحها صاح متعجبًا من هول المفاجأة. حيث وجد فيها كمية كبيرة من نقود ذهبية وفضية، وقطع كثيرة من أحجار كريمة مختلفة الألوان وبعد أن زالت دهشة "صالح" من عثوره على هذا الكنز، أخذ يفكر ويفكر حتى اتخذ قرارًا خطيرًا، وتوجه إلى صديقه "إبراهيم".

وحكى لهُ الحكايةَ كاملةً. وقدمَ لهُ الكنزَ وقالَ: أخي الكريمَ هذا الكنزُ ليسَ لي، بلْ هوَ لكَ؛ لأنني اشتريتُ الأرضَ فقطْ... رفضَ إبراهيمُ عرضَ صديقِهِ "صالحٍ" وقالَ لهُ: أخي صالحُ هذا الكنزُ ليسَ لي، بلْ هوَ لكَ؛ لأنني بعتُكَ الأرضَ بما فيها.

وأخذَ كلٌ منَ الصديقينِ يؤثرُ صديقهُ على أحقيتِهِ في الكنزِ.

وَعِنْدَمَا لَمْ يَتَّفِقِ الصَّدِيقَانِ، عَرَضَا الْقَضِيَّةَ عَلَى قَاضِي الْبَلْدَةِ، الَّذِي ابْتَسَمَ عِنْدَمَا عَرَفَ جَوَانِبَهَا وَقَالَ: حَيْثُ إِنَّ كُلًّا مِنْكُمَا يُؤْثِرُ صَاحِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ الْكَنْزَ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّنِي أَقْتَرِحُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الشَّابُّ "خَالِدٌ" بْنُ صَالِحٍ، مِنَ الْفَتَاةِ "يَاسَمِينَ" ابْنَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَيَكُونَ هَذَا الْكَنْزُ هُوَ رَأْسَ مَالِ حَيَاتِهِمَا الْجَدِيدَةِ.

قالت التلميذة: ما أجمل هذا الإيثار إذا ساد حياتنا. فإنه ينشر الحب والود والسعادة بين الناس. ولكن ما عكس قيمة الإيثار يا أستاذي؟

أجاب الأستاذ: عكس الإيثار يا بنيتي رذيلة الأنانية والعياذ بالله. وهي آفة ذميمة. من يصب بها تصبح نفسه صغيرة. لا ترى عينا ه إلا نفسه. وكل أهدافه أن يخدم منفعته الخاصة فقط. وينحصر تفكيره في ذاته. ليس لديه أعز من نفسه وكل همه أن يأخذ. ولا يعطي شيئا.

وَأَذْكُرُ هُنَا حِكَايَةَ الْوَلَدِ الْأَنَانِيِّ "قَاسِم" الَّذِي كَانَ يَسِيرُ هُوَ وَصَدِيقُهُ "شَامِي" فِي طَرِيقٍ زِرَاعِيٍّ، وَفَجْأَةً قَالَ "شَامِي" لِصَدِيقِهِ "قَاسِم"، اُنْظُرْ يَا قَاسِمُ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيبَةِ الَّتِي تُوجَدُ أَسْفَلَ تِلْكَ النَّخْلَةِ.

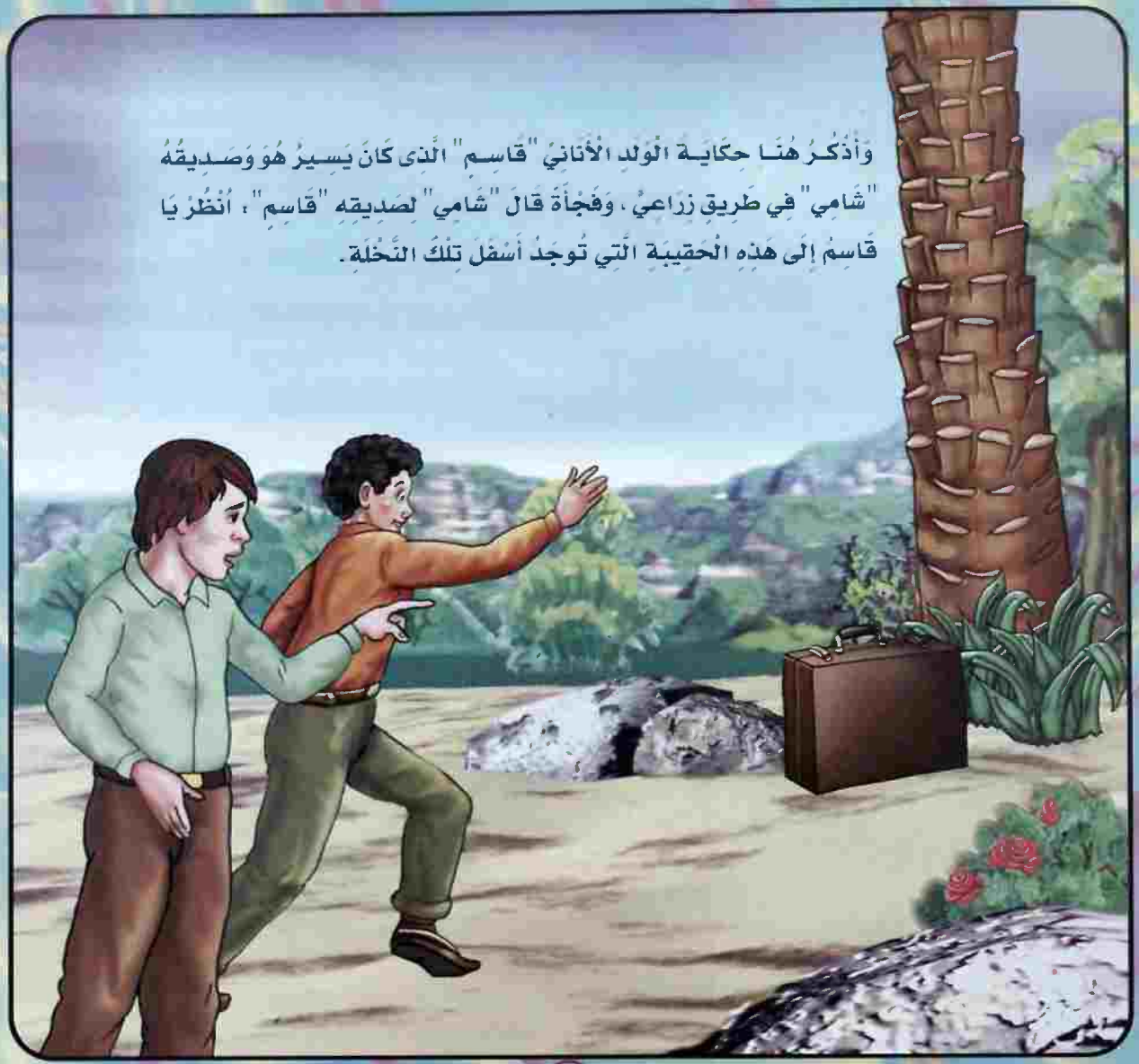

وجرى "قاسمٌ" والْتقط الْحقيبة وفتحها. فوجد فيها قدْرًا كبيرًا من أمْوالٍ ورقيَّة فضحك "قاسمٌ" وقال: هذه الأمْوالُ ستجعلني ثريًا وأحقق كلَّ ما أتمنَّى. قال له "شامى": بل قلْ ستجعلنا، أنا وأنْت. فنحنُ شريكان في هذه الْحقيبة أنا رأيْتُها وأنْت الْتقطْتها. فردَّ "قاسمٌ": الْحقيبةُ حقيبتي والْمالُ مالي وليْس لكَ عندي شيءٌ. وحاول "شامى" أنْ يثْني "قاسما" عنْ رأْيه دُون جدْوى. وأخذ "قاسمٌ" الْحقيبة وظلَّ يجْرى مُسْرعًا بعيدًا عنْ "شامى" الَّذى حزنَ أشدَّ الْحُزْنِ على أنانيَّة صديقه "قاسمٍ".

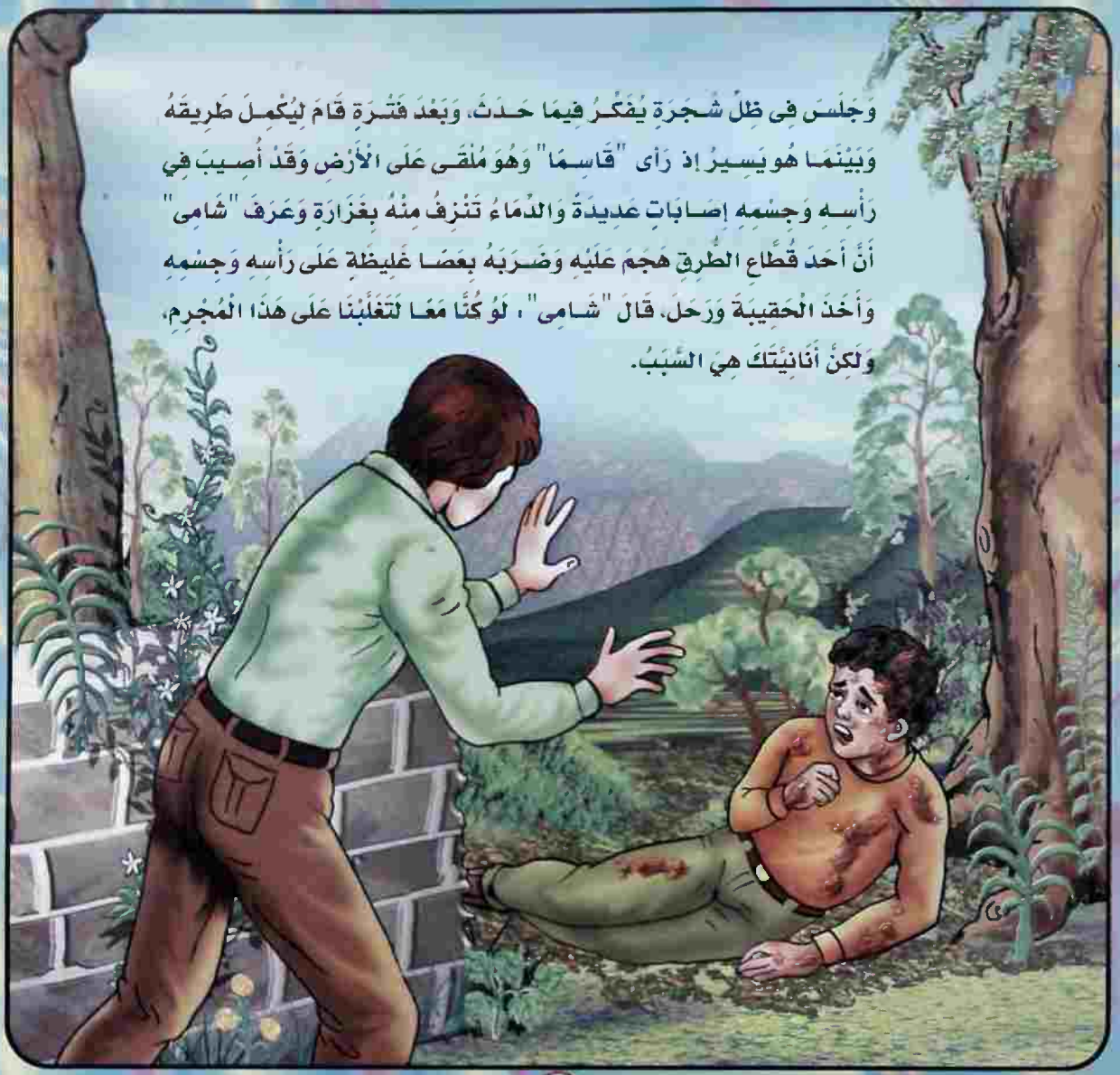

وَجلَسَ فِى ظِلِّ شَجَرَةٍ يُفَكِّرُ فِيمَا حَدَثَ، وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قَامَ لِيُكْمِلَ طَرِيقَهُ وَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ إِذ رَأَى "قَاسِمًا" وَهُوَ مُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ أُصِيبَ فِي رَأْسِهِ وَجِسْمِهِ إِصَابَاتٍ عَدِيدَةٌ وَالدِّمَاءُ تَنْزِفُ مِنْهُ بِغَزَارَةٍ وَعَرَفَ "شَامِى" أَنَّ أَحَدَ قُطَّاعِ الطُّرُقِ هَجَمَ عَلَيْهِ وَضَرَبَهُ بِعَصًا غَلِيظَةٍ عَلَى رَأْسِهِ وَجِسْمِهِ وَأَخَذَ الْحَقِيبَةَ وَرَحَلَ، قَالَ "شَامِى" ، لَوْ كُنَّا مَعًا لَتَغَلَّبْنَا عَلَى هَذَا الْمُجْرِمِ، وَلَكِنَّ أَنَانِيَّتَكَ هِيَ السَّبَبُ.

قَالَ التِّلْمِيذُ وَالتِّلْمِيذَةُ مَعًا: مَا أَبْغَضَ هَذِهِ الأَنَانِيَّةَ.

قَالَ الأُسْتَاذُ: مَا اسْتَحَقَّ أَنْ يُولَدَ مَنْ عَاشَ لِنَفْسِهِ فَقَطْ.